الامام الخميني الموسوي وعجل بني اسرائيل

■ **الدكتور حسان الزين**
باحث اسلامي من البرازيل

لقد مرت على التاريخ البشري مئات الثورات والانقلابات والتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتمكنت انظمة كثيرة من الحكم على مساحات تتضيق احيانا وتتسع حينا آخر فكانت الامبراطوريات الرومانية والعثمانية والاوروبية والامريكية وكان حكام الهند والصين وما بلاد النهرين وكانت امبراطورية فارس وكانت الامبراطورية الاموية والعباسية

وكان المغول والتتر وكان كسرى وقيصر وكان ما نعلم وما لاتعلمون

فالشعوب عندما تنوء بالظلم ويتحكم فيها الطغاة ويستبيح أعراضها فراعنة الارض تخرج عن بكرة اليها مطالبة بحقوقها جادة لتحقيق اهدافها فالتاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله حافل بالامثلة الواضحة على الثورات ولعل قصة نبي الله موسى خير دليل على الثورة الكبرى على فرعون حيث شغلت ثلث القرآن حسب بعض المصادر مع التاريخ اليهودي وسيرتهم التي فيها الكثير من العجائب والغرائب والاحداث والعبر .....فعندما استحكم فرعون وهامان في استعباد العباد واستحياء النساء وقتل الاطفال وظلم العامة والخاصة ، بعث الله اليهم موسى ثائرا منتفضا على واقعه مصمما على تأدية واجبه مستمرا لتحقيق اهدافه و في سبيل دعوته ولعل اذا اردنا ان ندرس ظاهرة الثورة الاسلامية في ايران من منطلق القواعد العامة والاسس الواضحة التي اتبعها موسى عليه السلام فنجد ان هناك الكثير من المتشابهات بينها والمنطلقات المشتركة مع اختلاف واضح بأن الشعب الايراني كان ايجابيا متجاوبا مع قائده العظيم الامام الخميني قدس سره كان هذا الشعب ملبيا لدعوة مؤسس الثورة مستمعا اليه مصغيا لتعاليمه متناغما مع فكره مضحيا بالقليل والكثير من اجل اهداف الثورة بينما نرى قوم لم يتجاوب معه الا القليل وما قاله اذهب انت وربك فقاتلا ، فهذا الجحود حتى بالبربوية.ملفتا جدا فالكاف تدل على أنهم امتازوا عن الجبهة الالهية بينما نلاحظ مئات الالاف في ايران كانوا يتقدمون الى الجهاد والثورة رغم كل المخاطر العظيمة .

ولعل ما قاله الشهيد العظيم السيد محمد باقر الصدر حول أن حلم الانبياء تحقق على ايدي الامام رضوان الله عليه وما انجزتها الثورة على ايدي هذا الشعب يوضح لنا عمق الفهم الذي كان يحمله الشهيد الثالث رضوان الله عليه مما يملكه من خلفية ثقافية وفكرية ابداعية قل نظيرها في التاريخ فالسنن التاريخية تلقي باثقالها على القائد والشعب والاهداف لتتحقق الامال والطموحات ... فالاخلاص هي الصفة التي يمكن ان تعطى للشعب والقيادة اثناء الثورة وقبلها وبعدها فلولا الاخلاص لما تحقق الكثير ،يقول الإمام علي عليه السلام في ميزان الحكمة (عند تحقق الاخلاص تستنير البصائر) فبصيرة الشعب والقيادة الحكيمة كانت عالية واضحة مستنيرة لثمرات الاخلاص في العمل ولله تؤدي الى وعي جمعي ووعي فردي فاذا نظرنا الى مؤسس الثورة الامام الخميني. قدس سره وما كان يمتلك من اخلاص لله ولشعبه لعلمت بأن هكذا قيادات لا يمكن هزيمتها واذا استكمل الاخلاص في امة بكاملة واصبح توجها عاما ومسلكا يوميا ومن ضمن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية واتقن القائد والشعب مهارات الاخلاص فقد توافقت عناصر الانتصار والنجاحات والفلاح وتحققت الامال ويروي عن امام المتقين عليه السلام (في اخلاص النيات نجاح الامور) وعنه عليه السلام (من اخلص النيات بلغ الآمال) فقد بلغت الامال موعده

> **ان ما يطرحه الشعب الايراني بقيادة السيد علي الخامنيء وعلى لسانه بالتحديد فكرا وقولا وعملا على مستوى بناء حضارة وثقافة ومجتمع ودولة مؤمنة تعتمد خدمة الانسان والعدالة الاجتماعية هدفا لها فهذا المشروع اكبر من دولة واعظم من جغرافيا فهو مشروع عالمي يقف امام مشروع اسرائيل الكبرى والامبراطورية الابراهيمية المزعومة.**

وعلت النجاحات اصواتها وتمكن الشعب والامام الخميني رضوان الله بايصال السفينة الى مرساها الميمون .

فراعنة الخلق والشاه .....

لقد كان الشاه محمد رضا بهلوي يمثل مصداقا واضحا لمعنى فرعون الخلق ....ففي دعاء الامام زين العابدين اشارة جميلة بأن هناك فراعنة الخلق انهم مجموعة من البشر تتخذ فرعون مثلها الاعلى فتسعى بشتى الوسائل لإن تتطبق تعاليمه وتجتهد بأن لا تحيد عن مسلكه فيصبح الحاكم يملك عقل فرعون ونفسه وجسده مهووسين بانجازاتهم معجبين بكل افعاله ليغدو فرعون الاصل صغيرا امام فجورهم وظلمهم بل أنهم جمعوا تجربة فرعون وزادوا عليها من الفنون ما يعجز العقل عن وصفه وما تنوء به الجبال والحملة من اولى القوة و قد امعن ظلما بالشعب والنخب الثقافية وباع مقدرات البلاد والعباد بأبخس الاثمان الى الغرب المستعمر رهينة فجعل الاقتصاد في يد الشركات البريطانية والامريكية وارسل النفط الى الكيان العبري متحالفا معه في كل صغيرة وكبيرة فهذه وثائق السافاك ووكر التجسس في السفارة الامريكية في طهران ونقلا عن المسئول الثاني في بعثة الكيان المحتل تورجمن إذ يقول: ان العلميات الإسرائيلية في إيران سرية في الأغلب، وبينما ترغب إسرائيل بتوسيع نطاق علاقاتها بإيران، فإنها تأخذ بعين الاعتبار مكانة إيران في الاعتراف بإسرائيل وكذلك الكثير من الدول العربية، ولا تصر كثيراً على إقامة العلاقات معها). وتؤكد على هذه العلاقة الوطيدة بين الشاه الفرعوني والعجل اليهودي فبقدر ما كانت هذه الروابط تظهر في الكثير من زيارات المسؤولين الصهاينة السرية منها والعلنية بشكل ضئيل فقد اشار الامام الخميني الى هذه الظاهرة بقوله في عدة امكان في خطاب المدرسة الفيضية في قم في الستينات وكذلك في العديد من خطبه على سبيل المثال لا الحصر حيث يقول : (وانتم تعرفون جيدا ان شاه ايران السابق كان مدججاً بالعتاد والسلاح، حيث عملت امريكا على ملء ايران بالسلاح

والعتاد الحربي لأنها ارادت جعل ايران قاعدة عسكرية لها، وكان شاه ايران يمتلك كل شيء، ويحظى بدعم كل القوى العظمى، لكن الشعب الايراني لم يكن يملك شيئا، بدءا من مدرسة الفيضية، وعندما شاهد الشعب عدم وجود اختلاف، وحدوا صفوفهم وتضامنوا مع بعضهم البعض وحققوا الانتصار بقوة الايمان. فالشعب الايراني الذي لم يكن يمتلك السلاح، تمكن من تحقيق النصر بقبضات حديدية واطلاق الصرخات بوجه العدو. فقد راح هذا الشعب يصرخ حتى تمكن من دحر عدو مدجج بالسلاح.) فهذا التوصيف من قائد الثورة يدل على حجم التحديات ويسير الى قوة الارادة الصلبة والتصميم العازم والحازم فكان لا بد من عقل نبي الله موسى عليه السلام وتجربته وتقنياته ومهاراته، فقد حان موعد ظهور رجال يؤمنون بعقلية وروحية وغضب موسى ...فموسى وهارون كانا تجربة تاريخية لم يستفد بنو اسرائيل منها بل حاربوه باسم الاوهام وتعاليم السامرية والجدل على الالوان والاوصاف فكان الاخلاص في العموم لديهم يقارب الصفر فرديا واجتماعيا. و كان نبي الله موسى مخلصا عظيما قادرا مثابرا مجتهدا يصل ليله بنهاره يتفرغ للتأمل والعبادة والمناجات والبحث في خلاص امته فاذ بهم يعبدون عجلا خوارا ويرفضون هارون ممثله الشرعي والوحيد وكادوا ان يقتلوه ويؤكد الامام الخميني على المقارنة بين موسى وفرعون من جهة وبين الظالم صدام حسين من جهة اخرى حيث يقول:(أتمنى لكم التوفيق في مساعيكم لتحرير العراق واستقلاله، وادعوكم لتركيز جهودكم على تحرير العراق من تسلط العتاة. واناشدكم الحذوحذوالنبي موسى عليه السلام الذي قام بوجه فرعون بهدف احقاق الحق دون التفكير بتسلم السلطة او الحكم، وانتم كذلك ينبغي ان تضعوا في حساباتكم ان يكون مجلسكم مجلسا الهيا، لانه اذا حصل خلاف داخل صفوف مجلسكم فانكم ستهلكون، لكن اذا وحدتم كلمتكم وتضامنتم ستنتصرون بأجمعكم. وبما انكم تريدون القضاء على هذا الظلم واجتثاث جذوره من اجل الله، فان التوفيق سيكون حليفكم ان شاء الله، وهذا التوفيق لن تبلغوه إلّا إذا تخلصتم من الخوف والقلق).

فالامام يدعو الى أمرٍ تأثر به واستفاد منه هي تجربة نبي الله موسى عليه السلام ومن جانب آخر في بعض المقارنة بين شعب رسول الله موسى وشعب الامام الخميني رضوان الله عليه ،فعندما نفي الامام الخميني الى بلاد الله الواسعة بقي الشعب الايراني وفيا مثابرا منفذ تعاليم امامه في السراء والضراء بينما ما غاب موسى اربعين ليلة حتى تغيرت معالم الامة وانقلبت على عقبيه . فالاخلاص في الحضور والغياب والوفاء في الحضور والنفي سمة يتسم بها الشعب الايراني في ثورته حيث قطب الامام الخميني وفريق عمله يحاول جاهدا لقلب الموازين الفرعونية ،في حديث الامام الخميني كذلك مع المعارضة العراقية يؤكد على ان فكرة الاخلاص تؤثر على الانتصارات قائلا:(لانه اذا كان عملكم خالصا لله وحده فان ذلك سيؤثر على انتصاركم.)

وبعد رحيل الامام الاكبر السيد الخميني قدس سره تولى زمام القيادة قائد مخلص ووفي وحكيم عاقل حيث يصف الاخلاص كيف هي صفة لقائده وصفة لمريديه وصفة لاتباعه

يقول السيد القائد آية الله السيد علي الخامنئي حفظه الله :

(وأنْ لا يعمل الإنسان من أجل هوى النفس، ولتحصيل المال والثروة، ونيل المنصب والسمعة وحكم التاريخ والدوافع النفسيّة، وإشباع صفة الحسد والطمع والحرص والزيادة، بل أنْ يؤدّي واجبه لله ولأداء الواجب محضاً، هذا هو معنى الإخلاص)،بهذا التعريف الجميل يعرف الاخلاص بانه ليس لاهداف الوجاهة ولا لاجل الطموحات الشخصية ولا لاجل المناصب الدنيوية .....ويصف مستكملا قائلا (وهكذا يتقدّم العمل. إنّ مثل هذا العمل كالسيف البتّار يُزيل كلّ الموانع عن طريقه، والإمام الخميني كان مجهّزاً بهذا السلاح، حيث قالها عدّة مرّات: إنّي لن أغضّ الطرف عن أقرب المقرّبين إليّ إذا خطوا خطوة خلافاً للحقّ، وهكذا كان حقّاً، وقد أظهر في المواقع الحسّاسة أنّ المهمّ بالنسبة إليه هو أداء الواجب، لقد أظهر ذلك في العلن وفي الوحدة، وفي الأعمال الكبيرة والصغيرة، وأضحى فعله ذاك درساً لمريديه وأبنائه وتلامذته، ممّا جعلهم يسطّرون المعاجز في جبهات الحرب بهذا السلاح نفسه"

وقد اجمل الامام القائد حركة الشعب الايراني ما قبل الثورة واكد على ان الفشل الاعداء كان بسبب اخلاص الشعب وهذه نقطة جوهرية مهمة يقولها بوضوح فهو يتقن الفهم السياسي والاجتماعي العميق والتحليل الواضح للاحداث ولمجرياتها حيث يقول :"بلطف الله وبسبب جهاد الجماهير وإيمانهم وإخلاصهم فقد فشلت جميع الحسابات الدوليّة. هذا هو فعل الله، وإلاّ فمن الّذي قام بذلك؟ أنتم؟ وهل هناك من يُمكنه أنْ يدّعي أنّه قام بذلك؟ كلّا، لا أحد يُمكنه ذلك. إنّ الحركة المخلصة والجهاديّة للجميع هي الّتي فعلت ذلك. كما أنّ انتصار الثورة الإسلاميّة ليس لأحدٍ ما أنْ ينسبه لنفسه. والإمام الخميني بعظمته وبشخصيّته وقيادته الّتي لا تُجاريها أيّة قيادة معاصرة في العالَم، وله كلُّ الحقّ في أعناقنا، لكنّه لم ينسب النصر لنفسه أبداً. وإذا دقّقنا في الأمر لوجدنا أنّ الأمر كذلك، لأنّه كان يُشكِّل في الحقيقة وسيلة إلهيّة للناس. فحركة الناس العظيمة والإخلاص والتضحيات أدّت إلى الانتصار هنا...)

فهو يتكلم عن الحركة المخلصة والجهادية للجميع فمفهوم ان يكون الاخلاص حركة اجتماعية وسياسية متقدمة ومتطورة هذا بحاجة الى الجميع الى مجتمع وعناصر متعددة من جميع المستويات وعلى جميع الصعد ليتحقق الهدف الاساسي .

استكمالا للمقارنة بين الحدثين المهمين الاول ما قام به نبي الله موسى وهارون من جهة وبين فرعون وهامان والشعب اليهودي من جهة أخرى .

فالشعب الايراني في ثورته الان بعدما ابدع في اخلاصه وعمله فهو المتقدم والمتألق في مواجهة الكيان العبري .فلنترك كل احداث التاريخ والسبي الاول والثاني لبني اسرائيل فدعونا نكرز على ثقافتين ثقافة وفكر محمدي موسوي ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين يحاول طرح العدالة الاجتماعية والانسانية يجتهد ليكون قيمة الانسان في خدمة الانسان يخرج من جعبتها لألاء الافكار وجواهر الاخلاق وعظيم الرأفة والرحمة والتعاون وعدم الاعتداء والامن ،..ومن ناحية أخرى كيان عبري قائم على الظلم والقهر والقتل والتشريد بين مجتمع يشوه سمعة الله العليم وكيان يسيء الى الانبياء وموسى وابراهيم ويعقوب والاسباط .وكأن ايات الله تصفهم وصفا دقيقا قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا هم يدعون الى ديانة جديدة ديانة الذات والهة الهوى يعلنون دبمقراطياتهم القاتلة للشعوب الناهبة للثروات والمصادر الطبيعية والمادية والمعنوية ...

ان ما يطرحه الشعب الايراني بقيادة السيد علي الخامنيء وعلى لسانه بالتحديد فكرا وقولا وعملا على مستوى بناء حضارة وثقافة ومجتمع ودولة مؤمنة تعتمد خدمة الانسان والعدالة الاجتماعية هدفا لها فهذا المشروع اكبر من دولة واعظم من جغرافيا فهو مشروع عالمي يقف امام مشروع اسرائيل الكبرى والامبراطورية الابراهيمية المزعومة. لذلك أن التحدي لكبير والاهداف عظيمة والثقة بالله اكبر من كل شيء والامل به والرغبة عنده يحطم كل الصخور والمعوقات والمؤمرات بالوحدة والاخلاص ينتصر الانسان المؤمن وينتصر المجتمع المؤمن ..

ان مشروع السيد علي الخامنيء الحضاري يمثل طموح المفكرين والمثقفين والمؤمنين والمستضعفين في خضم حضارات وثقافات خالية من اهم عنصر الا وهو التقوى والاخلاص .فالتقوى هي عامل اساسي في بناء اي فرد واي مجتمع واي دولة واي حضارة فحضارة التقوى وثقافة التقوى ودولة التقوى ومجتمع التقوى هم النموذج الامثل لبناء نظام عالمي آمن من الاخطار على جميع المستويات.